

SURİYE ROMANINDAKİ SERBEST YAPISINDA ARAP ELEŞTİRİ ANLAYIŞI (FİLİSTİN ROMAN ELEŞTİRİ ÖRNEĞİ)

Mohamad AL AHMAD*

Suriye romanı, ulaşmış olduğu önemli konumu sebebiyle Arap yarımadasının birçok kentinde Arap ve Suriyeli akademisyenlerin ve eleştirmenlerin kalemlerini kendine çekmiştir. Bunun üzerine Akademisyenler ve eleştirmenler, bu serbest yapıllı romanın doğup geliştiği safhaları takip etmişler, şekil ve içerik açısından gözlemlemişler ve incelemişler, ayrıca içerdği konularla ilgilenmişlerdir.

Bu makale, Suriye romanındaki serbest yapılarla ilgili olarak Arap roman eleştirmenlerinin sergiledikleri yaklaşımları gözlemlemeye çalışmaktadır. Filistinli roman eleştirmenleri, Suriye romanı üzerinde çalışmaya verdikleri önem nedeniyle Filistin Roman türünü örnek alıyor. Bu yönleriyle diğer Arap ülkelerindeki eleştirmenleri de aşmışlar ve elde ettikleri sonuçlarla da bu romanlara dikkat çekmişlerdir.

Makale; Suriye romanından yararlanan Filistinli eleştirmenlerin uygulamalarını, özellikle de Romanın serbest yapılarından ne gibi yarar elde ettiklerini tanıtmakla başlar. Sonra karakter tahliline yönelik çalışmalarda uygulamalar üzerinde durur. Serbest diyalog, zaman ve mekan, romanın yapısını inceleme sonra da bunu eleştirel bir duruş takip eder. Ardından da genel bir sonuç ve kaynakların tespiti ile biter.

Anahtar Kelimeler: Suriye romanı, Serbest yapılar, Filistin Eleştirel ürünü, Arap ülkelerindeki eleştirmenleri, Roman yapısı.

* Yrd. Doç. Dr. Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belağatı ABD,
(mohamad.alahmad@hotmail.com)

الوعي النقدي العربي بالمكونات السردية في الرواية السورية (النقد الروائي الفلسطيني نموذجاً)

ملخص البحث:

جذبت الرواية السورية إليها أقلام النقاد والدارسين السوريين والعرب من معظم الأقطار العربية، بسبب المكانة المهمة التي بلغتها، فنتبّعوا نشأتها وتطوّرها، ورصدوا ما اعترى شكلها ومضمونها من تغيّرات، ودرسوا غير مكثّر من مكونات السرد فيها، كما عنوا بالقضايا المضمونيّة فيها.

ويسعى هذا البحث إلى رصد مقارنة النقد الروائي العربي لمكونات السرد في الرواية السورية، ويمثّل لذلك بالنقد الروائي في فلسطين، لأنّ النقاد الروائيين الفلسطينيين أبدوا اهتماماً كبيراً في دراسة الرواية السورية، إذ فاقوا غيرهم من نقاد الأقطار العربية الأخرى، وكان لمكونات السرد حضور لافت للنظر في تناولهم لهذه الرواية.

ويبدأ البحث بتعريف بالمنجز النقدي الفلسطيني الذي عني بالرواية السورية، ولاسيّما ما عني منه بمكونات السرد الروائي، ثم يتوقف عند السمات المميّزة لذلك المنجز في دراسته للشخصيات، والسرد والحوار، والزمان والمكان، وبناء الرواية، ثم يتبعها وقفة نقدية، وخاتمة ونتائج عامّة، وثبت للمصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: الرواية السورية، مكونات السرد، المنجز النقدي الفلسطيني، نقاد الأقطار العربية، بناء الرواية.

CRITICAL CONSCIOUSNESS OF THE ARAB NARRATIVE COMPONENTS IN THE SYRIAN NOVEL

(Criticism of the Palestinian novelist as a model)

Abstract

Syrian novel attracted the attention of critics, Syrians scholars and Arabs from most of Arab countries, Due to the significant position that it reached, they traced its inception and evolution, and spotted what gripped form and substance of the changes, and they studied in it what were not the components of the navel as they precaution on the substantial issues of it.

This research pursues to monitor the approach of the Arab novelist criticism of components of the novel in Syrian novel, and for this purpose represent the novelist criticism in Palestine, Because Palestinian novelists

Yrd. Doç. Dr. Mohamad AL AHMAD

critics have shown great interest in the study of the Syrian novel, It outnumbered other critics of other Arab countries, for the components of the novel had great presence of strikingly in the deal of this novel.

The search begins with the introduction of Palestinian criticism books, which precaution on the Syrian novel, especially those which deterrent on the components of narrative novelist, and then discusses the characteristic features of those books in the study of the characters, the narrative and dialogue, the time and place, and the construction of the novel, and then followed by a pause of criticism, conclusion and general results, and confirmed sources and references.

Key words: Syrian novel, components of the novel, Palestinian criticism books, critics of Arab countries, novel construction.

1- المنجز النقدي الفلسطيني الذي عني بالرواية السورية:

عني النقد الفلسطيني بدراسة الرواية السورية في ما يربو على عشرة كتب، أبدى جلّها حفاوة واضحة بهذه الرواية، ووصل في بعضها إلى انصراف تام لمقاربتها، ويمكن تنضيد تلك الكتب حسب تاريخ صدور الطبعة الأولى منها على النحو الآتي:

- "أبحاث نقدية ومقارنة"¹ لحسام الخطيب (1973):
يمتدُّ الكتاب على مئتين واثنين وعشرين صفحة من القطع الكبير، وقُسِّمَ إلى ثلاثة أقسام: في نظرية الأدب، وفي أصول النقد الغربي واتجاهاته، والمؤثرات الأجنبية في نشأة القصة السورية وتطورها. ومهد في القسم الثالث لنشأة القصة العربية، ونشأة القصة السورية، وتتبع مراحل تطور القصة السورية، والمؤثرات الأجنبية فيها، ثم أجرى مقارنة بين روايتي "في المنفى" لجورج سالم، و"القضية" لكافكا، ودرس أخيراً رواية "العصاة" لصدقي إسماعيل، والمؤثرات الأجنبية فيها.
- "سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية"² لحسام الخطيب (1974):
يقع الكتاب في مئة وخمس وسبعين صفحة من القطع الكبير، جعله الخطيب في أربعة فصول ومقدمة، وهو يتشابه إلى حد بعيد مع الكتاب السابق، ويفارقه في بعض الإضافات كما في الصفحات (68-69-70-73) من الفصل الثالث. بالإضافة إلى بعض الإضافات في مقارنة روايتي "في المنفى" لجورج سالم، و"المحاكمة"³ لكافكا. وثمة إضافات أيضاً في دراسته لرواية "العصاة" في هذا الكتاب.
- "الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967"⁴ لحسام الخطيب (1975):
يقع الكتاب في مئة وست وستين صفحة من القطع الكبير، وقُسِّمَ إلى مقدمة وثلاثة فصول، هي: مدخل إلى الرواية في سورية، والرواية السورية في مرحلة

¹ الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، بلا طبعة، دار الفكر 1973.

² الخطيب، حسام، "سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية"، ط2، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1974.

³ أطلق عليها في كتابه الأول "القضية"، ينظر الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، ص183.

⁴ الخطيب، حسام، "الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967"، بلا طبعة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975.

النهوض (1959-1967)، ونماذج مدروسة. أشار الفصل الأول إلى واقع الرواية السورية، ثم تتبّع نشأتها وتطورها. ودرس الفصل الثاني تطوّر الرواية السورية بين عامي 1959-1967. وأفردَ الفصل الثالث لدراسة أربع روايات سورية، هي: "وداعاً يا أفاميا" لشكيب الجابري، و"جيل القدر" لمطاع صفدي، و"ثم أزهَر الحزن" لفاضل السباعي، و"شتاء البحر اليابس" لوليد إخلاصي. وخُتمَ الكتاب بملحق صنف فيه الروايات السورية بين عامي 1929-1967 بحسب تاريخ صدورها.

- "ملاح في الأدب والثقافة واللغة"¹ لحسام الخطيب (1977):

يمتد الكتاب على أربعمئة وتسع عشرة صفحة من القطع الكبير، وتضمن ثلاثة أقسام، هي: أدب، وثقافة، ولغة. درس الخطيب في القسم الأول: ملاح مفهوم "الحداثة" في الأدب، و"الأيام" وجوهر التجربة الإنسانية، وهو كتاب لطف حسين في السيرة الذاتية، والموضوع الفلسطيني في القصة السورية، وتناول فيه رواية "قوس قزح" لشكيب الجابري، و"جيل القدر" لمطاع صفدي، كما تناول فيه مجموعات قصصية، منها: "من دم القلب" لأديب نحوي، و"أشباح أبطال" لمطاع صفدي، و"الحب والنفس" لعبد السلام العجيلي، وغيرها². وتناول في القسم الثاني بعض القضايا، منها: نحن والعالم اليوم، وفي معنى السلم والحرب، والمترجمون العرب الأوائل، وغيرها³. أما في القسم الثالث فقد تناول هموم اللغة العربية في عصرنا، واللغة والمرأة، والنحو والنحاة⁴.

- "انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"⁵ لشكري ماضي (1978):

يمتدُّ الكتاب على مئتين واثنين وسبعين صفحة من القطع الكبير، وهو في الأصل بحث تقدّم به صاحبه لنيل درجة الدكتوراه، وقُسم إلى ستة فصول، هي: الرواية العربية قبل الهزيمة وبعدها، والهزيمة كما تتمثل في الروايات، والهزيمة وروايات العجز، والرؤية الثورية وطريق الخلاص، وانعكاس الهزيمة على الشكل الروائي، واستشراف مستقبل الرواية. وبعد أن قدّم الناقد نظرتَه حول الرواية العربية قبل هزيمة حزيران وبعدها في الفصل الأول، اختار لكل فصل من الفصول التالية عدة روايات تتبّع فيها أثر الهزيمة، وأهم الروايات السورية

1 الخطيب، حسام، "ملاح في الأدب والثقافة واللغة"، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1977.

2 ينظر المصدر السابق، ص11-214.

3 ينظر المصدر السابق، ص215-354.

4 ينظر المصدر السابق، ص357-416.

5 ماضي، شكري، "انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1978.

التي درسها الناقد في هذا الكتاب: "فارس مدينة القنطرة" لعبد السلام العجيلي، و"قارب الزمن الثقيل" لعبد النبي حجازي، و"عودة الطائر إلى البحر" لحليم بركات، و"الفهد" لحيد حيدر، "الأبتر" لممدوح عدوان، و"عرس فلسطيني" لأديب نحوي، و"الشمس في يوم غانم" لحنا مينة.

- "روايات تحت المجهر"¹ لحسام الخطيب (1983):

يقع الكتاب في مئتين وست وتسعين صفحة، جعله المؤلف في قسمين، تتبع في القسم الأول تطور الرواية السورية حتى عام 1967، ودرس في القسم الثاني اتجاهات الرواية السورية، وهذه الاتجاهات كما يراها الخطيب: الاتجاه الابتداعي: وتمثله رواية "وداعاً يا أفاميا" لشكيب الجابري. والاتجاه القومي الوجودي، وتمثله ثلاث روايات، هي: "جيل القدر" و"ثائر محترف" لمطاع صفدي، و"المهزومون" لهاني الراهب. والاتجاه النيوكلاسي: وتمثله ثلاث روايات أيضاً، هي: "باسمة بين الدموع" لعبد السلام العجيلي، و"ثم أزهز الحزن" و"الظمأ والينبوع" لفاضل السباعي. وبوادر الحداثة: تمثلها رواية "شتاء البحر اليابس" لوليد إخلصي.

- "قضايا عربية في أدب غادة السمان"² لحنان عواد (1989):

يقع الكتاب في مئة وتسع وتسعين صفحة، قسمته المؤلفة إلى خمسة فصول، هي: تمهيد، وغادة السمان: حياتها وخلفية تاريخها، ومؤلفات غادة السمان في فترة ما قبل 1967: "رحيل المرافئ القديمة"، ومؤلفات ما بعد 1967: "بيروت 75". ورأت الناقدة أن غادة السمان حتى عام 1967 اهتمت بتصوير ظلم المرأة العربية في علاقتها بالذكور، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كالحب والعزلة الثقافية والوعي الطبقي³. وعالجت مؤلفاتها بعد 1967 قضيتين أساسيتين، هما: هزيمة العربي عام 1976، والحرب الأهلية اللبنانية. وهاتان القضيتان تشكلان الخلفية الثانوية الأخرى مثل الحب واضطهاد المرأة والفساد السياسي والتمييز الطبقي⁴.

- "الدلالات العنقودية"⁵ ليفصل دراج (1992):

¹ الخطيب، حسام، "روايات تحت المجهر، دراسة نهوض الرواية السورية"، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1983.

² عواد، حنان، "قضايا عربية في أدب غادة السمان"، ط1، دار الطليعة، بيروت 1989.

³ ينظر المصدر السابق، ص70.

⁴ ينظر المصدر السابق، ص101.

⁵ دراج، فيصل، "دلالات العنقودية"، ط1، دار كنعان، دمشق 1992.

يقع الكتاب في ثلاثمئة وخمس وسبعين صفحة، جعلها صاحبه في ثلاثة فصول، هي: في نظرية الرواية، والأدب والأيدولوجيا، ومعنى الأدب في أيدولوجيا الاختزال. وتناول في الفصل الأول العلاقة الروائية في العلاقات الاجتماعية، وجورج لوكتش ونظرية الرواية، ثم درس أثر التاريخ في رواية "الزيني بركات". وربط في الفصل الثاني الأيدولوجيا الأدبية التي يقول بها النص الروائي بالأيدولوجيا العامة للروائي¹، واختار لهذا الغرض عدة روايات، هي: "الشراع والعاصفة" لحنا مينة، و"باب الساحة" لسحر خليفة، و"الطريق إلى بير زيت" لأدمون شحادة، و"اللاز" و"فرمان". أما الفصل الثالث فقد تناول فيه مقولات وشهادات لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وحنا مينة والظاهر وطار حول الأيدولوجيا في الأدب².

- "الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية"³ لسليمان حسين (1997):

كتاب صغير الحجم، يقع في مئة وإحدى عشرة صفحة من القطع الكبير، وضع فيه الناقد مجموعة دراسات، رصد في بعضها العلاقة بين المتخيل والواقع في النص الروائي، وحاول في بعضها الآخر استشفاف الوحي المستقبلي الذي يفتح عليه النص إضافة إلى إحياءاته حول الماضي الفائت والحاضر الراهن، واهتم في ثلثة بالبعد البنائي من خلال اختيار بعض الصوى الرمزية والبحث في دلالاتها وفحواها ضمن البناء الكلي للنص وضمن المسار الكلي للأعمال التي ينجزها منتج واحد، ودرس في رابعة اللغة الروائية وامتداداتها وإيحاءاتها وشعريتها وأداءها على المستوى البلاغي وعلى المستوى الإبداعي.

وتناول الناقد في كتابه هذا الثلاثية السورية "الطريق إلى الشمس" لعبد الكريم ناصيف، بالإضافة إلى غير رواية عربية، منها: "مذكرات امرأة غير واقعية" لسحر خليفة، و"إلى الجحيم أيها الليلك" لسميح القاسم، و"السفينة"، و"البحث عن وليد مسعود"، و"صيادون في شارع ضيق" لجبرا إبراهيم جبرا.

- "الراني، دراسات في سوسولوجيا الرواية العربية"⁴ لعبد الله رضوان (1999):

1 المصدر السابق، ص6.

2 المصدر السابق، ص6.

3 حسين، سليمان، "الطريق إلى النص"، مقالات في الرواية العربية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1997.

4 رضوان، عبد الله، "الراني دراسات في سوسولوجيا الرواية العربية"، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان 1999.

كتاب يقع في مئتين وتسع وأربعين صفحة، جعله الناقد في سبعة فصول، هي: تجليات الواقع الاجتماعي، ومونس الرزاز – حين يصير الواقع فناً، وزمن "حنثش بنتش"، وغسان كنفاني – وتوهج الذكرى، وقراءة الواقع .. قراءة المستقبل – للطاهر وطار، و"الوباء" – هاني الراهب، ومتابعات نقدية. واستجلى الناقد فيه بعض صور المجتمع العربي كما تجلت في الروايات العربية التي اختارها، وحرص على أن يكون الاختيار من عدة أقطار عربية. ولم يعتمد منهجاً نقدياً، واستبدل هذا باستخدام أدوات وأساليب إجرائية لتحقيق نقد تطبيقي غير ملتزم بمنهج معين، مع الاستفادة بشكل رئيس من منجزات علم الاجتماع كما جاء في أدبيات لوكاش ولوسيان جولدمان¹.

- "أنماط الرواية العربية الجديدة"² لشكري عزيز ماضي (2008):

كتاب يقع في مئتين وست وثمانين صفحة، جعله صاحبه في أحد عشر فصلاً، هي: السرد المهجن والمفارقات، وبنية السرد الغنائي، بنية السرد/ الدوائر الدلالية، وبنية السرد الفسيفسائي، وبنية السرد/ جماليات التفكك والتشظي، والبنية السردية/ سيرة الأثنياء، وبنية السرد/ النمو الاستعاري، وبنية السرد/ الرواية = القصيدة، وبنية السرد/ التنازل اللاعضوي وتراسل الأجناس، وبنية السرد/ جماليات الرعب وانهايار المجاز والترميز، وتفنتت البنية السردية وانكسار المعنى. ووقف الناقد في كتابه هذا عند تجارب روائية جديدة متعددة في مبادئها ومتنوعة في معانيها ودلالاتها الفنية، وقد حرص على أن يشمل اختياره الوطن العربي من محيطه إلى خليجه³، واختار من سورية روايات "هاته عالبا، هات النفير على آخره ... (سيرة الصبا)" و"أرواح هندسية" و"فقهاء الظلام" و"البراهين التي نسيها" مم آزاد" في نزته المضحكة إلى هناك أو: الريش" لسليم بركات.

وقد نالت مكونات السرد وتقنياته في الرواية السورية نصيباً وافراً في معظم هذه الكتب، ولا سيما في خمسة منها، هي: "أبحاث نقدية ومقارنة"، و"روايات تحت المجهر"، لحسام الخطيب، و"الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية" لسليمان حسين، و"انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"، و"أنماط الرواية العربية الجديدة" لشكري ماضي.

2- مزايا النقد الروائي الفلسطيني في تناوله لمكونات السرد في الرواية السورية:

¹ ينظر المصدر السابق، ص5.

² ماضي، شكري عزيز، "أنماط الرواية العربية الجديدة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2008.

³ المصدر السابق، ص7.

لقيت مكونات السرد في الرواية السوريّة لدى النقاد الفلسطينيين اهتمامًا كبيرًا لا يقلّ عما لقيه مضمونها من اهتمام، فمنذ بدايات هذا النقد التفت إلى كثير من القضايا الشكلية، ولا سيّما الشخصية والزمان والمكان والسرد والحوار وبناء الرواية، وطوّر، مع تطوّر الرواية، أدواته وإجراءاته في دراسة هذه القضايا. ولأنّه يستحيل أن نحيط بكلّ ما جاء في الكتب التي ذكرناها أنفًا من دراسات مكونات السرد في الرواية السورية في هذا البحث المقتضب، فإننا نعد إلى ذكر أبرز النقاط التي توقفت عندها تلك الكتب فيما يخصّ هذه المكونات.

أ- الشخصيات:

نالت الشخصيات عناية خاصة في النقد الروائي الفلسطيني، تفوقت فيها على مكونات السرد الأخرى من زمان ومكان وبناء ورؤية وغيرها، فتكاد لا تخلو دراسة منها، وارتكزت دراسة الشخصية لدى هؤلاء على ركنين مركزيين؛ الأول: طريقة رسمها في الروايات، والثاني: التطور الذي طرأ عليها. بيد أن الركن الأول حاز على الاهتمام الأكبر.

ويعد كتاب "أبحاث نقدية ومقارنة" لحسام الخطيب من أقدم الكتب النقدية العربية التي تناولت الرواية السورية، وتضمّن قسمه الثالث الذي يتصدّره عنوان "المؤثرات الأجنبية في نشأة القصة السورية وتطوّرها" دراسة لمكونات السرد في رواية "العصاة" لصدقي إسماعيل. وحظيت الشخصيات بدراسة مستفيضة، فذكر الناقد أسماءها، وأنواعها، ونماذجها، وقدم تلخيصًا لأدوارها، ورأى أنها اعتمدت التحليل النفسي في بنائها، وامتاز معظمها بقدرة على التطور والتغير¹. وربط بين أحداث الرواية والواقع، وذكر أن الروائي اختار الشخصيات النسائية عامة لتصوير تطور الأفكار الاجتماعية، وعلل هذا بأنّ التطورات الاجتماعية الحاسمة كانت ملقاة على عاتق المرأة قبل الرجل، ورأى أن النساء البارزات في هذه الرواية استطعن إعطاء صورة عن تطور الفكر الاجتماعي بما أدينه من أفكار، وبما قمن به من تصرفات². كما ذكر أن الروائي رصد التجربة الجنسية في حياة معظم أشخاصه، وأظهر مبالغة في تحليل نفسياتها، ولا سيما النساء والمراهقين³.

وعني الخطيب بدراسة الشخصيات في الرواية السورية في كتابه "روايات تحت المجهر"، وأبرز ما جاء فيه أنّ معظم الشخصيات في رواية "ثم أزهز الحزن" لفاضل السباعي مسطحة وذات بعد واحد ونمطية ومصنوعة لأغراض معينة، وقد أدى إشفاق الكاتب الدائم عليها إلى أن تأتي رخوة غير متشكلة كأنها شخصيات في

¹ ينظر الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، ص 194-198.

² ينظر المصدر السابق، ص 189-190.

³ ينظر المصدر السابق، ص 194.

حلم، ومما ساعد على إفقادها عناصر الحياة ضآلة عنصر الشر فيها، ولا سيما في أفراد الأسرة البطلة، حيث مسخ عنصر الشر إلى محرك قميء عابر ضئيل التأثير، وذلك نتيجة لعزوف الكاتب عن التعمق في نفوس أشخاصه واكتفائه برصد مظاهر سطحية منتقاة. وما يلفت النظر أن يجد الناقد نوعًا من الإضفاء بين المؤلف وبين (هالة) بطلة الرواية، ويقول في هذا الشأن "وقد يبدو غريبًا للوهلة الأولى أن يحس المرء بنوع من الإضفاء بين المؤلف وبين (هالة)، وهو أعجب ما يكون بالنسبة لمؤلف رجل يجد لنفسه موطئ قدم في بطلته ذات أنوثة طبيعية. إن الأمر على كل حال لا يعدو ريبية يصعب إثباتها بالحجة الدامغة وإن كانت الأدلة غير قليلة كذلك".¹

كما أشار الخطيب إلى أن الروائي عبد السلام العجيلي أفاد من الطريقتين المباشرة وغير المباشرة في تقديمه لشخصية بطله (سليمان) في رواية "باسمة بين الدموع"، كما أفاد من تقنية الرسائل للولوج إلى العالم الداخلي لشخصية البطلة (باسمة).²

ودرس رواية "شتاء البحر اليابس" لوليد إخلاصي في الفصل الثالث من كتابه "الرواية السورية في مرحلة النهوض"، ووصفها بالرواية الجديدة، التي لا تقدم لنا سوى حد أدنى من المعلومات عن الشكل الخارجي للشخصيات عن ملابسهم وأعمالهم وأماكن سكنهم والظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بهم. وأعاد الناقد السبب في ذلك إلى طبيعة هذا النوع من الروايات، التي تجعل من ظروف الإنسان الاجتماعية والطبيعية قشرة إطارية رقيقة تستقي أهميتها النسبية من مدى الإحساس الداخلي بها، ولكنها في الأغلب تظل على السطح ولا تدخل ضمن عالم الشخصيات الداخلي إلا بمقياس مصغر جدًا.³

وتناول شكري ماضي الشخصيات في غير رواية سورية في كتابه "انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"، فدرس رواية "قارب الزمن الثقيل" لعبد النبي حجازي في الفصل الثاني المعني بدراسة الهزيمة كما تتمثل في الروايات، وذكر أن (أحمد شهاب) و(نوال) في هذه الرواية هما الشخصيتان المحوريتان، وهما شخصيتان مسطحتان؛ إذ نتعرف إليهما بشكل كامل في المشهد الأول، ورأى أن هاتين الشخصيتين لا تنموان خارجيًا ولا نفسيًا.⁴ وأشار إلى أن ثمة ثغرات واسعة في رسم شخصيات هذه الرواية عامة، ولكن الناقد لم يفصل في هذه الثغرات.⁵

1 الخطيب، حسام، "روايات تحت المجهر"، ص 240 - 241.

2 المصدر السابق، ص 194 وبعدها.

3 ينظر الخطيب، حسام، "الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967"، ص 153.

4 ماضي، شكري، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص 51.

5 المصدر السابق، ص 53.

كما تناول رواية "الفهد" لحيدر حيدر في الجزء الذي يتصدّره عنوان "كيف رسم الروائي طريق التجاوز"، وذكر أنّ هذه الرواية تقدم البطل الفرد؛ فهي تقوم على إحياء البطل الشعبي، لأنها تعدّ أن ثورته الفردية هي أولى الخطوات في مسيرة الانعتاق والتخطي عبر تعميق ثورته إلى ثورة جماعية¹. ورأى أن الروائي حرص غالبًا على عدم التدخل في شخصية بطله (شاهين)، مما جعله يتصرّف على سجيته. ولكنّ تدخله في بعض المواقف جعله ينطق بكلمات تجعله محلّقًا في سماء الفلسفة والتساؤل². أما الشخصيات الثانوية في هذه الرواية فهي شخصيات ما تلبث أن تظهر حتى تختفي، ولذلك بدت فاقدة لدينامية الحركة، بسبب وظيفتها التي اقتصرت على إلقاء الضوء على شخصية البطل وتعميق دوره وإظهار مزاياه³.

وتوقف سليمان حسين عند الشخصيات في رواية "الطريق إلى الشمس" لعبد الكريم ناصيف في كتابه "الطريق إلى النص"، وقصر حديثه على الشخصيتين الرئيسيتين في هذه الرواية (عزيز) و(شمس)، ورأى أنّ (عزيز) شخصية شعبية ملحمية كالزير سالم تمامًا أو كعنترة العبيسي؛ فهو يمتلك قوّة الزير في قدرته على القيام بأعمال يعجز عنها جبابرة الرجال من دون أن يكون زير نساء، ويمتلك عفة عنترة الذي كان يغض طرفه عن النساء، فقد كان (عزيز) "يغض طرفه عندما يرى الفتيات يسبحن في العين، ويرفض الانسياق مع رغبات أرملة أخيه التي تحاول إغراءه مرات حتى تندس في فراشه، غير أنه يقاوم هذا الشذوذ بشدة، ويصل في النهاية إلى المرأة الحلم شمس "الفارس المثلّم"، ويحطّ بين يدي أنوثتها رحال رجولته"⁴. كما رأى أنّ (شمس) في هذه الرواية نموذج للمرأة المتمرّدة على وضعها النسوي كأنثى، فقد أجلّت أنوثتها التي حاولت وضعها في مكان الاحتياط وانتمت إلى عالم الرجال، من خلال تمثّلهم الرجال شكلاً وسلوكًا، إلى أن التقت بـ(عزيز)، فاستعادت أنوثتها⁵.

ودرس شكري ماضي رواية "سيرة الصبا" لسليم بركات في الفصل الثاني المعنون بـ(بنية السرد الغنائي) في كتابه "أنماط الرواية العربية الجديدة"، وذكر أنها لا تشتمل على شخصية محورية. وعلى الرغم من كثرة شخصياتها فقد رأى أنها مجرد أسماء يُتوسّلُ بها للتعبير عن تبديلها أو تغيير أسمائها من دون أن نشعر بتغيير ما. وأعاد السبب في ذلك إلى التفكك والتبعثر الذي اتصف به عالمها الروائي، ورأى

¹ المصدر السابق، ص46.

² المصدر السابق، ص72.

³ المصدر السابق، ص73.

⁴ حسين، سليمان، الطريق إلى النص، ص103.

⁵ ينظر المصدر السابق، ص103.

أنه تفكك متعمد ومقصود لتصوير قيمة العبث، والوصول من خلالها إلى قيمة أخرى تتمثل في الانسجام والائتلاف¹.

ب- السرد والحوار:

تناول الخطيب السرد والحوار في رواية "العصاة" في كتابه "أبحاث نقدية ومقارنة"، وذكر أنه على الرغم من أساليب السرد المتنوعة، فإن الروائي غالبًا ما استخدم الأسلوب الإخباري المباشر الذي سيطر على السرد في هذه الرواية، وتخللته ملاحظات مباشرة تفسر أفكار الشخصيات ومواقفها ونفسياتها، وتراوحت هذه الملاحظات من جملة معترضة إلى فصول كاملة أو شبه كاملة. كما ذكر أن الروائي فسح لشخصياته أحيانًا سرد وقائع معينة، وعلل الناقد لجوء الروائي إلى هذا الأسلوب بأن بعض الشخصيات أقدر منه على عرض تلك الوقائع. ورأى أن ثمة جنوحًا ظاهرًا إلى الطابع المقالي الذي يكاد يطغى على الطابع القصصي في الرواية².

ودرس الناقد رواية "جيل القدر"، في القسم الثاني من كتابه "روايات تحت المجهر"، الذي يتصدره عنوان "روايات واتجاهات"، وصنّفها مع الروايات ذات الاتجاه الوجودي، وفيما يخص السرد والحوار، أشار إلى أن الروائي حشد - لكي يستوعب المادة الضخمة التي هيأها لروايته - مختلف الأساليب الفنية المعروفة في الرواية من سرد ومذكرات ورسائل وتداخ وحوار داخلي وقطع سينمائي، وتنقل بين هذه الأساليب بحرية كاملة مما أتاح له أن ينوع دائمًا في لهجة السرد بين الضمائر المختلفة ولا سيما ضمير الغائب وضمير المتكلم، ويضاف إلى ذلك بعض الملاحظات بضمير المتكلمين. وذكر الناقد أنّ الرواية بدأت بالسرد المباشر الذي قدّمته بطلة الرواية (ليلي)، ثم تولى السرد الراوي الغائب في القسم الثاني من الرواية، وتخلله السرد المباشر الذي قدّمه البطل (نبيل)، بالإضافة إلى الحوار الخارجي بين الشخصيات، والحوار الداخلي الذي لجأ إليه الروائي ليتغلغل في نفسيات شخصياته. كما ذكر أن أسلوب الرسالة بين الشخصيات سيطر على جزء كبير من روايته³.

وتناول الناقد في هذا القسم رواية "المهزومون" لهاني الراهب، وذكر أن الراهب لجأ إلى ضمير المتكلم في روايته هذه، دون أن يخرج عن نطاق مرئياته المباشرة إلا عند ضرورة معينة وفي حالات محدودة جدًا، واستعان أحيانًا بعبارات قصيرة ترددها الشخصيات بلا تكلف للتعبير عن مفهوم خاص للحياة، ورأى أن

¹ ماضي، شكري، "أنماط الرواية العربية الجديدة"، ص43-44.

² ينظر الخطيب، حسام، أبحاث نقدية ومقارنة، ص202 وبعدها.

³ ينظر الخطيب، حسام، روايات تحت المجهر، ص90 وبعدها.

الحوار جرى بعبارات قصيرة، وغلبت عليه البساطة والخفة، وهو حوار مقنع ومقبول ضمن جو الرواية ذاتها¹.

كما تناول رواية **شتاء البحر الياوس** لوليد إخلاصي في الجزء الذي يتصدّره عنوان "بوادر الحداثة"، وذكر أن هذه الرواية تمتاز عن غيرها بصفات عدة، منها، أن الجمل الحوارية فيها تأتي بوجه عام "على شكل دقات تعبيرية موحية ذات أصداء بعيدة، ولا يتكلم الأشخاص عادة إلا إذا كان عندهم معنى معين أو دفقة شعور ينبغي أن تُبثّ في الجو السائد من أجل إغنائه أو تلوينه"².

ودرس الناقد سليمان حسين السرد والحوار في رواية **"الطريق إلى الشمس"** لعبد الكريم ناصيف، وذكر أن الروائي اعتمد في عملية السرد الطريقة السردية التقليدية التي تجعل الوصف الإخباري متكأها، وفسّر لجوء الروائي إلى هذا الأسلوب بأن المرحلة الزمانية المتناولة، وطبيعة الحدث قد أملت على الكاتب هذا المسار السرد، وساق الناقد دليلاً على كون طبيعة الرواية ضرورة جعلت السارد يقتفي هذه التقنية، وهو أنه استفاد كثيراً من طريقة القص الشعبي في السرد، وقد جاءت أكثر افتتاحيات الفصول إما سردياً على طريقة القص الشعبي وإما مقطّعاً من سيرة شعبية مروية بالطريقة ذاتها، ويضاف إلى ذلك توظيف أبيات شعرية باللهجة السائدة المحكية³.

وتوقف الناقد شكري ماضي عند رواية **"الأبتر"** لممدوح عدوان في الفصل الثاني من كتابه **"انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"**، وأشار إلى أن الروائي أحسن توظيف تقنيات فنية حديثة فيها، كاللذكر والتداعي والمنولوج الداخلي. وأعاد سر نجاحه في توظيفه هذه التقنيات إلى تناسبها مع الأحداث الروائية⁴.

كما تناول رواية **"الريش"** لسليم بركات في كتابه **"أنماط الرواية العربية الجديدة"**، وما يلفت النظر فيما يخص الحوار ما ذكره الناقد في دراسته لهذه الرواية، أن بعضه يدور بين شخصية وشجيرة أو بين طائرين. ولحظ الناقد قلة الحوار وغلبة السرد في هذه الرواية، وغلبة حوار الأشياء مع نفسها، ومع مثيلاتها على الحوار بين الشخص في الرواية⁵.

ج- الزمان والمكان:

أشار الناقد حسام الخطيب في كتابه **"أبحاث نقدية ومقارنة"** إلى أن صدقي إسماعيل في رواية **"العصاة"** لجأ إلى تعيين الزمن غالباً بالأرقام والتواريخ وأحياناً

¹ ينظر المصدر السابق، ص 167-169.

² المصدر السابق، ص 286.

³ حسين، سليمان، الطريق إلى النص، ص 105.

⁴ ينظر ماضي، شكري، "انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"، ص 78.

⁵ ينظر ماضي، شكري، "أنماط الرواية العربية الجديدة"، ص 63.

عن طريق حوادث تاريخية معروفة كعهد السلطان عبد الحميد، ودخول فيصل دمشق¹.

وتناول الناقد رواية "وداعًا يا أفاميا" لشكيب الجابري في كتابه "روايات تحت المجهر"، وذكر أنها تنتمي إلى الاتجاه الإبداعي، وأبدى الناقد إعجابًا خاصًا بوصف المكان الذي غلب عليه الطابع الرومانسي فيها، ورأى أن الجابري أبدع في وصف مظاهر الطبيعة، وعني عناية فائقة بتعداد أسماء طيرها وشجرها، كما عني بالمظاهر الخاصة التي تتحدث عن اللون المحلي للقريبة العربية. وذكر الناقد أن الروائي عمد إلى تحديد الأزمنة والأمكنة بدقة، فتحديد الزمن الأصلي يبدو من خلال الملاحظات الديكورية للكاتب. أما تحديد المكان فيبدو جليًا من المشاهد الوصفية التي عنت عناية واضحة بوصف البيئة الجغرافية لمنطقة اللاذقية مع ذكر أسماء المواضع والقرى والتلال والأنهار والوديان، وتحديد أنواع النباتات والأشجار والحيوانات، وإبراز عادات المنطقة وتقاليدها².

كما أبدى الناقد إعجابًا شديدًا باستعمال الروائي تقنية "القطع المكاني" المستعار من السينما، للتعبير عن تواقف الأحداث، الذي يتحرك فيه عنصر المكان ويبقى عنصر الزمان ثابتًا³.

ودرس الناقد روايتي "جبل القدر" و"ثائر محترف" لمطاع صفدي، وذكر أن الرواية الأولى تغطي حوالي أربع سنوات من حياة سورية، فتبدأ بالسنة الأخيرة من حكم أديب الشيشكلي وتنتهي بوصول جمال عبد الناصر إلى دمشق في الأسبوع الأخير من شباط عام 1958، وغالبًا ما يتم تعيين الزمن بشكل مباشر، وقد يتيح الروائي للشخصيات أن تحدد الزمن عن طريق الرسائل أو تذكر حادثة ما، أو عن طريق المذكرات⁴. أما الرواية الثانية فتتكئ على التداخي الحرّ بشكل رئيس، ما أدى إلى كثرة المفارقات السردية. وقد عمد الروائي فيها إلى تحديد الزمن بدقة⁵.

كما ذكر الناقد في دراسته لرواية "ثم أزهز الحزن" أنه بسبب الدقة التسجيلية وربطها بوعايتها الخارجيين من زمان ومكان حرص السباعي في هذه الرواية على التحديد الدقيق للزمان والمكان. وقد تم تحديد التطور الزمني بإشارة مركزة دائمًا إلى التواريخ والمواسم وفصول الطبيعة والأعياد وتطور أعمار الشخصيات⁶.

1 ينظر الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، ص 201 - 202.

2 الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، ص 56 وبعدها

3 ينظر المصدر السابق، ص 59.

4 ينظر الخطيب، حسام، "روايات تحت المجهر"، ص 90 - 91.

5 ينظر المصدر السابق، ص 126 وبعدها.

6 ينظر المصدر السابق، ص 227.

وتناول الناقد شكري ماضي رواية "عودة الطائر إلى البحر" لحليم بركات، وأشار إلى أن الروائي ارتكز فيها بشكل كبير على استعمال القطع المكاني المستعار من السينما. وذكر أن الروائي لا يستعمل هذه التقنية للتعبير عن توافقت الأحداث فحسب، بل كذلك للتعبير عن أغراض فكرية وأخلاقية معينة. فبينما يصور الجموع الغفيرة التي تستمع إلى البيانات والموسيقى الصاخبة وتكتفي بالتصفيق، تنتقل عدسة الرواية إلى الضفة الغربية حيث نلتقي جموع النازحين بتأثير القصف الشديد¹.

ودرس الناقد روايات "سيرة الصبا" و"أرواح هندسية" و"فقهاء الظلام" في كتابه "أنماط الرواية العربية الجديدة"، وما لفت انتباهه في رواية "سيرة الصبا" الانحراف المتكرر في مجرى السرد، والتفكك والتبعثر في العالم الروائي، وهو تفكك متعمد ومقصود، كما يقول الناقد. ولأن المناخ العام هو محور الرواية لهذا لا يشعر المرء أن الزمن فيها يتغير أو يتقدم. ورأى الناقد أن الروائي اتكأ في هذه الرواية على الصور السردية التي تشبه اللقطات السينمائية، فهو ينتقل من مشهد وصفي لآخر، وهذه الصور السردية لا تتصافر لتولد حركة إلى الأمام، بل تتجاوز وتتكرر من خلال مضامينها لتؤكد المناخ العام، وهو تخلف البيئة وفقرها وخنوعها². كما ذكر أن غياب الحدث المتدفق في هذه الرواية أدى إلى توقف الزمن الروائي فيها³. ورأى أنه بسبب التداخل والتكرار في السرد في رواية "أرواح هندسية" توقف الزمن الروائي، وشبه الناقد حركتها بالمراوحة في المكان، وبرهن على صحة ما ذهب إليه بأن هذه الرواية تصور رحيل المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، وهي تبدأ بانتقالهم إلى السفينة الراسية وتنتهي ولما تتحرك السفينة بعد⁴.

ورأى ماضي أن رواية "فقهاء الظلام" تمتاز باستخدامها تقنيات زمنية تمثل نوعاً من التمرد على منطق التتابع، وهي: التزامن، والتناوب، واختزال الزمن، ونفيه. وذكر أن استخدام التزامن أدى إلى تجميد الزمن، إذ سردت المقاطع الروائية بشكل متناوب. وتجسد اختزال الزمن في هذه الرواية بمولد (بيكاس)، الذي مزج فيه الروائي بين الواقع والحلم والأسطورة⁵. كما ذكر الناقد أن نفي الزمن يعني "نفي أهم خصائصه (التتابع والتراكم)، لكن السرد في هذه الرواية لا يكتفي بذلك لتحقيق هذا الهدف، إذ نراه يفنيه فعلاً، ومعه بالطبع توعمه (المكان)، حين يدور ... في عالم ما قبل الزمن ... عالم الحيوانات المنوية قبل أن تلتقي ببويضتها"⁶.

¹ ماضي، شكري، انعكاس هزيمة حزيران، ص59.

² ينظر ماضي، شكري، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص42-44.

³ ينظر المصدر السابق، ص46.

⁴ ينظر المصدر السابق، ص46-48.

⁵ ماضي، شكري، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص53.

⁶ المصدر السابق، ص56.

د- بناء الرواية:

توقف الخطيب عند رواية "العصاة" لصدقي إسماعيل في كتابه "أبحاث نقدية ومقارنة"، ورأى أن بناءها اتكأ على "طريقة التقدم في الزمن مع بعثرة الاتجاه بحيث يستوعب السرد مادة الرواية في مقاطع طولانية وعرضانية تتصالب وتتداخل، وتتجه زمنياً إلى الأمام دائماً على هدي منطقات تاريخية كبرى اختارها الروائي من خارج الرواية"¹.

وتناول الناقد رواية "المهزومون" في كتابه "روايات تحت المجهر"، وذكر أن بطلها يروي أحداثها وأفكارها بضمير المتكلم حتى آخر الرواية دون أن يخرج عن نطاق مرئياته المباشرة إلا عند ضرورة معينة وفي حالات محدودة جداً، "وهو يتبع الطريقة الزمنية في الوصف ونادراً ما يقفز عن الحوادث ليعود إلى تذكرها فيما بعد"². كما تناول الناقد رواية "باسمة بين الدموع" لعبد السلام العجيلي في كتابه هذا، ورأى أن العقدة التي بنيت عليها هذه الرواية تتمثل في تطوّر العلاقة بين (هيام) و(سليمان)³. ودرس الناقد البناء في رواية "ثم أزهز الحزن"، وذكر أن السباعي حرص فيها بشكل مستمر على الدقة التسجيلية وربطها بوعائنها الخارجيين من زمان ومكان، ولضخامة المادة المروية جعلها الروائي في ثلاثة أقسام تكاد تكون متساوية، وجعل محور الرواية المركزي الذي تتحرك على أساسه أحداث الرواية كفاح الأم الأرملة وبناتها الضعاف في سبيل الحياة. واتكأ الروائي بشكل كامل على العاملين التقليديين في تحريك الرواية وهما الموت والزواج. كما اصطنع الروائي في نهاية الرواية عقدة شكلية، هي: (الاحتفال بعيد الأم)⁴.

وتوقف الناقد شكري ماضي عند البناء في روايات سليم بركات، وذكر أن رواية "سيرة الصبا" قامت على الانحراف المتكرر في مجرى السرد، فالروائي يعتمد إلى انتقالات مقصودة، "فمن تعليق إلى وصف إلى تذكر إلى تأملات متعالية إلى نمو استعاري شعري، ومن مكان إلى آخر، ومن شخصية إلى ثانية، ثم هناك انفتاح على الزمن الماضي، ماضي الشخصيات أحياناً وماضي المكان أحياناً أخرى"⁵. كما ذكر الناقد خلو هذه الرواية من مجرى أصلي للسرد، وقامت على صور متجاوزة ومنفصلة بعضها عن بعض، ولا تتصل فيما بينها إلا من خلال تجاورها وساردها⁶.

¹ الخطيب، حسام، أبحاث نقدية ومقارنة، ص 201-202.

² الخطيب، حسام، روايات تحت المجهر، ص 167.

³ ينظر المصدر السابق، ص 193.

⁴ ينظر المصدر السابق، ص 227 وبعدها.

⁵ ماضي، شكري، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص 42.

⁶ المصدر السابق، ص 42.

ورأى أن رواية "أرواح هندسية" تقوم على تداخل الحلقات السردية وتكرارها مع التنوع أحياناً ومع التماثل أحياناً أخرى، بحيث يشعر القارئ بأنه لم يغادر اللحظة المصورة، ولم ينتقل إلى لحظة جديدة. فالشخصيات مجرد أسماء أو أطياف، والمكان ثابت، والمناخ العام قاتم، والأوضاع متماثلة، والمواقف هي هي، والشعور لا يتبدل، لكن حلقات السرد وتشابكها وتكرارها تولد حركة، لكنها ليست حركة إلى الأمام ولا إلى الخلف، بل هي أشبه بالمرآحة في المكان¹. أما رواية "فقهاء الظلام" فتتكئ على انكسار الزمن الروائي من خلال ظواهر سردية متعددة، منها بروز ذاتية السارد وهيمنته وتعليقاته، واسترسالاته الحرة، والوصف الممتد على حساب القصة، لأشياء ليس لها علاقة مباشرة بسياق القصة، والانفتاحات الدائمة على الزمن الماضي، والانحرافات والاستطرادات الكثيرة، ومنها أيضاً تناوب المقاطع السردية².

3- وقفة نقدية:

امتاز النقد الروائي الفلسطيني في تناوله للشخصية في الرواية السورية بمزايا متعددة، فبالإضافة إلى النظرة التقليدية التي تهتم بأنواع الشخصيات، ونماذجها، وأساليب رسمها، نظر هذا النقد إلى الأثر النفسي والشعبي في تكوينها، كما نظر إلى علاقتها بمكونات السرد الأخرى، ولا سيما ببناء الرواية. ومع هذا فإن هذا النقد أغفل كثيراً من قضايا دراسة الشخصيات في الرواية، فثمة شخصيات في الروايات تنهض بأداء مجموعة من الوظائف داخل السرد، هي تلك التي يصطلح عليها بـ"الاستراتيجيات الدلالية المتوافقة مع المعمار البنائي للرواية"³. ولكن النقد الفلسطيني قصر في الكشف عن هذا النوع من الشخصيات. وثمة نوع للشخصيات بالنظر إلى دورها في الرواية، هي تلك التي لا تكون مهمتها في تسهيل مهمة الشخصيات الرئيسية أو إعاقتها، وإنما ينحصر هذا الدور فيما يُصطلح عليه بالبديل أو المعادل الموضوعي روائياً⁴، فلو كانت شخصيات الرواية، على سبيل المثال، تحمل صفات سلبية عامة، فتكون هذه الشخصية إيجابية، أي تحمل عكس ما تحمله شخصيات الرواية من صفات سلبية. والنقد الفلسطيني لم يلتفت إلى هذا النوع من الشخصيات.

¹ المصدر السابق، ص46.

² المصدر السابق، ص50.

³ ولعة، صالح، سيميائية البنية المكانية في رواية "كراف الخطايا"، مجلة الموقف الأدبي، العدد ان 447 – 448، تموز وأب 2008، ص363.

⁴ ينظر: الفيصل، سمر روجي، ملامح في الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1979، ص62.

وغالبًا ما نظر هذا النقد إلى الشخصيات الثانوية من ناحية بنائها، وأهمل دورها في تحريض الشخصية الرئيسية أو تثبيطها. وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لدراسة العلامات اللغوية للشخصيات، فإن المرء لن يعثر في هذا على هذا النوع من الدراسات. والروائي، كما هو معروف، يعتمد إلى تسمية شخصياته لدافع ما، و"يترجّح استخدام الروائيين لأسماء شخصياتهم الحكائية بين مستويين دائمًا: مستوى اعتباطي؛ يخلو الاسم معه من أي دلالة، وآخر رمزي؛ يبدو الاسم موحياً وزاخراً بالدلالات المعبرة عن السمات المميزة لهذه الشخصية: المادية والمعنوية"¹. وعلى الناقد أن يحاول اكتشافه، ويقارن بين العلامة اللغوية والعلامة الحقيقية للشخصية كما جاءت في الأحداث، ويقدمه للقارئ.

أما الحديث عن جمالية الشخصية وأسباب اختيار الروائي لنمط محدد في بنائها يكاد يكون معدومًا. "فالروائي حين يجد نفسه إزاء سلسلة بلا نهاية من الاختيارات المطروحة أمامه بكل كرم يقع اختياره على ما يظن أنه سيدعم عالمه الذي أبدعه بيديه ويمنحه شكلاً ثابتاً دائماً"².

وأبرز النقد الروائي العربي في فلسطين أساليب السرد التي استخدمها الروائيون السوريون في رواياتهم، من سرد تقليدي كثرت فيه التداخلات والاستطرادات، إلى سرد تنوعت فيه الضمائر وانعدمت التداخلات، واستخدم تقنيات فنية حديثة، وصل في استخدامها إلى الإتقان. وبعد أن كان الأسلوب الملحمي وسيلة لتدخل الروائي في السرد في بعض الروايات، أصبح وسيلة فنية يستخدمها الروائي للتنوع في أساليب السرد، وليضفي نوعاً من المصادقية على الأحداث. كما سلط الضوء على أنواع الحوار في الرواية السورية، وأشار بعضهم إلى لغته ومناسبتها للشخصيات التي تقدمه، ودوره في الرواية.

ومع هذا فإنّ هذا النقد اتسم بالسطحية في تناوله للسرد والحوار، فقد اكتفى بحديثه عن السرد بأنواعه، ولغته، وتطوره. ولم يلتفت إلى النواحي الجمالية في تنوع أساليب السرد، أو في اختيار نوع من السرد دون غيره. ويستثنى من هذا الكلام سليمان حسن الذي علل اختيار الروائي عبد الكريم ناصيف للسرد التقليدي في روايته "الطريق إلى الشمس".

وعلى الرغم من أهمية الحوار، فغالبًا ما اكتفى الناقد بذكر وجوده فحسب، وقلة منهم ذكر أنواعه من دون معرفة تامة بها، فاكثرت بذكر نوعين عامين هما:

¹ الصالح، نضال، "النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص 177.

² صبحي، محي الدين، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 193.

الداخلي والخارجي، من دون ذكر ما يتفرّع عنه هذان النوعان. وقلة منهم من تحدث عن لغة الحوار ومناسبتها للشخصيات. أما دور الحوار في الصراع بين الشخصيات، وإظهار الأيديولوجيا، ودوره في رسم الشخصية، وأنواعه الكثيرة، ولا سيما أنواع الحوار الداخلي فقد غابت بشكل شبه مطلق عن دراسات هؤلاء.

ولا يمكن للمرء أن ينكر عمق التناول الذي امتازت به دراسة شكري ماضي لروايات سليم بركات، فقد أعطى لتنظيم الأحداث في الزمان انتباهه، وبحث عن "الأسباب وراء تلاعب الكاتب بالكرونولوجيا"¹. وعليه نستطيع القول إن ماضي في دراسته هذه ارتقى إلى مرتبة ما يسمى بالناقد الأدبي الذي امتلك المعرفة والذوق الكبير واستطاع من خلالهما أن يقدم، انطلاقاً من النص ذاته، شيئاً جديداً بعيداً عن الأفكار المسبقة التي قد تحرف الناقد عن المسار الصحيح².

وباستثناء دراسة ماضي فإن دراسة النقد الروائي الفلسطيني للزمان والمكان في الرواية السورية، عامة، ينقصها الكثير من الاهتمام، فقد كانت مجرد إشارات عابرة بعيدة عن التفصيل والتحليل والتدقيق، وكأن هذين المكونين اللذين يعدان من أهم المكونات في السرد الروائي مجرد إطار لاحتواء الأحداث.

فقد غاب الكثير من القضايا، ومنها دراسة زمن السرد الذي يقصد به طريقة تقديم هذه الأحداث في النص الروائي، وزمن القصة الذي يقصد به تسلسل الأحداث وفق تتابعها المنطقي³. كما غابت دراسة حركة الزمن داخل النص الروائي ببعديه الأفقي والعمودي. ويمثل الأول ما يصيب السرد من تغيرات في التسلسل المنطقي للأحداث ويؤدي إلى تقديم بعض الأحداث وتأخير أخرى، وهو ما يطلق عليه الاسترجاع والاستباق. أما الثاني فيتمثل في الاستغراق الزمني، أي وتيرة سرد الأحداث من حيث سرعتها أو بطؤها، ففي حالة التسريع يجري تلخيص بعض الأحداث في تقنية (الخلاصة) وحذف بعضها في تقنية (الحذف)، أما في تبطؤ الزمن فيجري إيقاف الزمن بشكل مؤقت بغية تمديد الخطاب في تقنيته (المشهد، والوصف)⁴.

ودراسة جمالية المكان، التي تعنى بالأمكنة المضاءة والأمكنة المعتمنة، ومناسبة المكان للأحداث، والأمكنة الواقعية والمتخيلة، والأمكنة التي توحى بالغرابة

¹ شولز، روبرت، عناصر القصة، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1988م، ص56.

² ب. بورتل، د. ماديلينا، د. كوتي، ج. م. جليكسون، النقد الأدبي، تر: هدى وصفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999، ص95.

³ ينظر: يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت 1989، ص68.

⁴ ينظر: بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ص196.

والدهشة¹، لا وجود لها في دراساتهم. وكذلك الفضاء النصي الذي يشكل أحد فروع دراسة المكان. فالروائي حين يختار لروايته خطأ طباعياً معيناً وشكلاً في ترتيب الفقرات وإبراز بعض الجمل، واختيار صيغة حوارية ما يهدف إلى أمر خاص على الباحث أن يبحث عنه ويحاول تفسيره.

أما فيما يخص بناء الرواية فقد تراوحت أساليب البناء التي رصدها النقد الروائي الفلسطيني في الرواية السورية بين المركزية حول عقدة غرامية، أو فكرة معينة، أو شخصية رئيسية، وبين التبعر والتفكك ليكوّن محور الرواية المناخ العام.

4- خاتمة ونتائج عامة:

نستطيع القول: إن ما يلحظه المتتبع لهذا النقد نمطية التناول للعناصر الشكلية عامة، فإذا قرأ المرء دراسة عن مكون روائي ما في أحد كتب النقاد الذين سبق ذكرهم، فإنه يستطيع أن يكون فكرة شاملة عن كيفية التعاطي مع هذا المكون في كتب غيره من النقاد الفلسطينيين. فالشخصيات: مركزية ورئيسية وثانوية، والمكان قرية ومدينة وغابة، والزمان خارجي وداخلي، والبناء اتخذ نظام العقدة أو لم يتخذه، والراوي تقليدي ومتكلم، والحوار خارجي وداخلي، واللغة فصيحة وعامية. من دون الغوص في فروع هذه الكليات.

ويلحظ المرء إهمالاً واضحاً لدراسة علاقات التأثير والتأثير بين أحد مكونات السرد ومكونات السرد الأخرى، كتأثير مكوّن الزمان بمكوّن المكان، وتأثير مكوّن الزمان والمكان في مكوّن الشخصية.

ولا يفهم من هذا الكلام تدني مستوى التناول لهذا النقد، فقد امتاز بمزايا إيجابية كثيرة، يأتي في مقدمتها تتبعه لمكونات السرد في عدد كبير من الروايات، وتسليطه الضوء على التقنيات المستخدمة في بنائها، ولا سيما المستوى المتميز الذي أظهره الناقد شكري ماضي في تناوله لروايات سليم بركات.

5- المصادر والمراجع:

بحرواي، حسن، "بنية الشكل الروائي"، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1990.

حسين، سليمان، "الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1997.

¹ للتوسع ينظر محبك، أحمد زياد: جماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، العدد 348، نيسان 2000، ص150.

- الخطيب، حسام، "أبحاث نقدية ومقارنة"، بلا طبعة، دار الفكر، دمشق 1973.
- "سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية"، ط2، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1974.
- "الرواية السورية في مرحلة النهوض 1959-1967"، بلا طبعة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975.
- "ملاحم في الأدب والثقافة واللغة"، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1977.
- "روايات تحت المجهر، دراسة نهوض الرواية السورية"، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1983.
- درّاج، فيصل، "الدلالات العلاقة الروائية"، ط1، دار كنعان، دمشق 1992.
- رضوان، عبد الله، "الرئائي دراسات في سوسولوجيا الرواية العربية"، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان 1999.
- عوّاد، حنان، "قضايا عربية في أدب عادة السمان"، ط1، دار الطليعة، بيروت 1989.
- ماضي، شكري، "انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1978.
- "أنماط الرواية العربية الجديدة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2008.
- الصالح، نضال، "النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.
- صبحي، محي الدين، "النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم"، دار العربية للكتاب، 1988.
- الفصيل، سمر روعي، "ملاحم في الرواية السورية"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1979.
- يقطين، سعيد، "تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير"، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت 1989.

المراجع المترجمة:

- بورنل، د. ماديلينا، د. كوتي، ج. م. جليكسون، "النقد الأدبي"، تر: هدى وصفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999.
- شولز، روبرت، "عناصر القصة"، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1988.

الدوريات:

مجلة الموقف الأدبي: محبك، أحمد زياد"، جماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي،
العدد 348، نيسان 2000.
ولعة، صالح: "سيمائية البنية المكانية في رواية كراف الخطايا"،
العدد ان 447 – 448، تموز وأب 2008.